

الفضل الثالث

• البعد الإسلامي في حرب التحرير الجزائرية .

البعد الإسلامي في حرب التحرير الجزائرية

إذا كان الإسلاميون قد أقاموا البنية الأساسية لحرب التحرير الجزائرية وإعداد النفوس للثورة بعد أن أعادوا الهوية الإسلامية للشخصية الجزائرية ، فإنهم كانوا مرتكزا أيضا من مرتكزات الثورة التي انطلقت من الأرضية الإسلامية ، وليس معنى عدم مشاركة الإسلاميين في السلطة أنهم لم يشاركوا فيها ، كما يردد « بن ييلا » أول حاكم للجزائر بعد الاستقلال ففي ندوة متلفزة قال ردًا على سؤال للصحفي أندريه بوتار الصحفي الفرنسي في مجلة الإكسبريس الفرنسية « رجال الدين لم يلعبوا دورًا مهمًا في نضال جبهة التحرير الوطني ، بل لم يفعلوا شيئًا قط وأنهم رغم أقوالكم أنهم شاركوا في الحكومة أقول لكم : « إنهم حاربونا على مدى عام ونصف عام »^(١) . وبالطبع فإن الأحداث والوثائق تكذب « بن ييلا » حتى إن « بوضياف » رئيس المجلس الحاكم في الجزائر بعد الانقلاب على نتائج انتخابات ١٩٩١ ورفيق بن ييلا في الثورة والسجن يكذبه حيث قال : « لقد نادت الحركات الثورية في الجزائر من عبد القادر الجزائري إلى حرب التحرير بالرجوع إلى الدين »^(٢) .

ويشير جان بول شارنيه العالم الاستراتيجي الفرنسي إلى أهمية دور الدين في حرب التحرير الجزائرية بقوله: «.. هناك دافع إسلامي لم يتجسد في تنظيمات سياسية لكنه كان شاحنًا حيًا وبشكل عميق التجذر في حركة التحرر الوطني، وخاصة بما يتعلق بالطبقة الفلاحية ، ففي حرب التحرير الجزائرية قام الفلاحون في الجبل بمساندة « جبهة التحرير الوطني » في تحقيق التحرر والاستقلال ، ولكن النضال بالنسبة لهؤلاء الفلاحين لم يكن يتموضع في تحقيق الاستقلال بقدر ما كان ضرورة للتحرر من سيطرة مسيحية يمثلها الفرنسيون على شعب مسلم هو الشعب الجزائري .

(١) بن ييلا نحو عالم جديد دار آسيا للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى . باريس ١٩٨٤ الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٤ ص ١٦٤ .

(٢) الأهرام ١٩٩٢/٣/٤ : حديث بوضياف للصحافة المغربية . أجراء هشام فهم ص ٥ .

وإذا كان الدين مبعداً عن الواجهة الخارجية لحركة التحرر العربي لأسباب أيديولوجية واستراتيجية سياسية تبرر تقديم الفعالية لهذه الحركات كفاعلية تسعى إلى تحقيق الاستقلال وليس إلى بناء دولة دينية ، هذا مع أن العامل الديني كان موجوداً ضمناً وبشكل عميق ، ويتحرك ضمن الديناميات البنوية لحركة التحرر في الوطن^(١) .

ويشير الجنرال بوفر إلى دور الإسلام في حركة التحرير الجزائرية « في بداية الأمر لم يكن الثوريون سوى حفنة من الرجال ليس بحوزتهم سوى وسائل مضحكة وجابهوا فرنسا التي كانت قوتها تبدو في تلك الفترة قوة ساحقة ، وبالإضافة إلى هذا كان الشعب الجزائري لم ينضج بعد للثورة ومع هذا فقد قرر الثوار البدء فوراً بالعمل معتمدين على التقاليد الإسلامية » وهذا ما يؤكد أحد كبار الثوار وهو عباس لغرور « إنني أعرف أننا سنجاهد العدو وأيدنا فارغة عملياً ، وليس لدينا إلا إيمان الذي يعمر قلوبنا ، غير أن ما نعتمد عليه هو إشعال الفتيل المفجر للثورة ، وإنني على ثقة كاملة بأن الشعب الجزائري بكامله سيتبع مسيرتنا على هذا الدرب ، ذلك لأن الله مع المجاهدين ومع القضية العادلة الله أكبر^(٢) » .

حتى أن بن بيللا لم يستطع إنكار العامل الديني في توجهه الثوري فهو يقول : « كان عمري ثلاث أو أربع عشرة سنة عندما أقدم أحد المدرسين ، وكان مربيًا جيدًا ، وسببنا ولكنه متعصب ، على النيل من معتقداتنا الدينية ، فقلت له إننا مازلنا صغارًا ، وأنه لا يحق له أن يفعل ذلك ، فرد عليّ قائلاً : إن النبي محمدًا كان مشعوذًا ، في ذلك اليوم تحدد اختياري ، لقد جرح في الصميم ، وبعد أربع سنوات مرت على ذلك الحادث أنضمت إلى « حزب الشعب الجزائري » وناضلت في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية التي لا يمكن فهمها بمعزل عن بعدنا الإسلامي .. »^(٣) .

بل إن بن بيللا قال عام ١٩٨٠ : إن الشعب الجزائري يعتبر الثورة الإسلامية في إيران امتدادًا طبيعيًا للفتح من نوفمبر ١٩٥٤ ، ولكل ما كان ينطوي عليه ذلك اليوم وأن تعلق الشعب الجزائري بالثورة الإسلامية في إيران هو تعلق عضوي ، فقد عانى

(١) د . علاء طاهر : الخصوصية الاستراتيجية للعالم العربي . اللجنة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ ص ١٧٥

- ص ١٧٦ .

(٢) محمد مورو . مصدر سبق ذكره ص ١٠٣ .

(٣) بن بيللا نحو عالم جديد . مصدر سبق ذكره ص ١٣٤ .

شعبنا الأمرين من ليل استعماري طويل وسياسة استيطانية عملت على تقويض أقدس مقدسات وجودنا وأولها الإسلام ، ومنذ بداية الاحتلال مارس شعبنا تقاليد عريقة في الكفاح من أجل التحرير توجت بثورة نوفمبر ١٩٥٤ وما رافقها من آلام ، كل ذلك جعل شعبنا أكثر تفهما للثورة الإيرانية من أى شعب مسلم آخر ، وهذا ما دفعه إلى التعلق بأهدافها أشد التعلق والاستعداد للدفاع عنها ، حتى إن أبناء شعبنا مصممون على الاستشهاد من أجل تلك الثورة إذا ما اقتضت الضرورة ^(١) .

وهذه الشهادة من بن ييللا تنفي ما قاله عن العلماء وتؤكد إسلامية ثورة نوفمبر ١٩٥٤ على الرغم من أنه هو الذى انحرف بها عن جادة الصواب وتسليمها لليساريين ، ربما فى محاولة منه لإبعاد الدين عن الواجهة الخارجية طبقاً لمقولة الاستراتيجى الفرنسى « جان بول شارنيه » بأن الهدف هو الاستقلال وليس إقامة دولة دينية حتى لا يعترض العالم الصليبي ويمنع ذلك .

وعندما أعلنت جبهة التحرير عن مبادئها اتضحت شخصيتها العربية الإسلامية واستغلت عامل الدين بهدف توحيد الصفوف من ورائها ، وتمثلت المظاهر الإسلامية فى معظم تحركاتها وخطاباتها .

فالثورة اتخذت كلمتى « خالد ، عقبة » سرّاً لها مما يدل على تأصل العقيدة الإسلامية فى نفوس مقاتلى الجبهة ، والذى كان يطلق لقب مجاهد على كل فرد منها كما استخدمت الثورة الكلمات الإسلامية للاتصال مثل : « الدين والعمل الله أكبر ، الله محمد ، الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، النظام والعمل ، خالد ، عقبة الجهاد ، والإخلاص ، محمد على ، السيف ، القلم ، الحرب ، النصر وغيرها من الكلمات ^(٢) .

وبرز الطابع الإسلامى للثورة فى افتتاح أغلب جلساتها باسم : الله ، والحمد لله ، ثم باسم جيش وجبهة التحرير ، فى إنشاء مصلحة قضائية دينية تابعة لجيش التحرير فى أغلب الولايات ، وعلى كل المستويات ، وكانت تقوم بحل المشاكل الدينية والاجتماعية فى أوساط الشعب ، وتنظم التعليم العربى وتراقبه ، وتقوم بالوعظ الدينى والتوجيه الثورى ^(٣) .

(١) المصدر السابق ص ٨ .

(٢) د . نبيل أحمد بلاسى . مصدر سبق ذكره ص ١٦٤ .

(٣) المصدر السابق .

وتمثلت مظاهر الجهاد الإسلامى أيضًا فى أنه عند قدوم مواطن للالتحاق فى جيش التحرير ، فإنه كان يقول « أنا قادم للجهاد الذى كان يتسابق إليه المجاهدون الذين كانوا يغفون الجنة ، كما راعت القيادة العسكرية أن يؤدى جنودها الصلاة ، ونعت بعض القادة الجنود الذين يتخلفون عن الصلاة » بأنهم مجاهدون ناقصو الإيمان^(١) .

وعندما تقرر عمل العلم الجزائرى عرفته الجبهة وكان ذلك عام ١٩٥٨ بأن هناك دلالات خلف ألوانه : فلونه الأبيض يعبر عن السلم والأمن ، والأخضر يعبر عن الرزق ، والأحمر يعبر عن الدم ، أما الهلال فيرمز إلى القومية العربية ، أما النجمة فهي تشير إلى أركان الإسلام الخمسة^(٢) .

وفسر القادة الجزائريون حرب التحرير بأنها جهادٌ إسلاميٌّ ضد الفرنسيين عن الوطن وعن المجتمع الجزائرى وعن الأخلاق الجزائرية التى هى أخلاق المجتمع الإسلامى التى ذكرت فى الشريعة الإسلامية ، ومن هنا كان التأيد الشعبى لها يزداد لاسيما بعد تطهير الخونة المندسين بين أوساط الشعب ، والتى أصدرت جمعية العلماء فتوى بكفر المتعاونين مع الاستعمار ، والرد على دعاية الاستعمار وتصوير الحرب التى يقوم بها جيش وجبهة التحرير على أنها حركة جهاد إسلامي .

وعندما طالب المقيم العام الفرنسى « روبرت لاكومت » من الشيخ العربى التبسى صاحب التأثير على الشعب أن يطالب الجماهير بالهدوء وعدم المشاركة فى الثورة رفض التبسى قائلاً : « إننى صادق منذ نعومة أظفارى وأنا الآن شيخ وتريدون منى أن أكذب على الشعب ، كلا لن أتحدث ، كلا لن أتحدث ، وبعد اعتقال الزعماء (بن بيللا ، وبوضياف ، وحسين آيات ، ومحمد خيضر ...) طالبه لاكومت - كمفوض من قبل حكومة جى مولى - بالتفاوض معه لإيجاد حل للقضية الجزائرية ، قال التبسى له : مفتاح الحل بأيديكم أنتم ، مما أدى إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية بين منزله فى حى بلكور بالجزائر ، وعمله فى جمعية العلماء ، ولما كان الشيخ التبسى باعتباره رئيساً لجمعية العلماء - بعد رحيل البشير الإبراهيمي إلى الشرق - فقد أُلِفَ السجن لأنه كان من أنصار الكفاح المسلح مع فرنسا الذى قال عنها : « من عاش فليعيش بعداوة فرنسا

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر» ، وقد رفض التيسى عرض الأهر لإنتاذه من المصير السيئ الذى يزحف إليه حتى اختطافه على يد المظليين الفرنسيين فى الليلة الفاصلة بين ٤ ، ٥ أبريل سنة ١٩٥٧^(١) .

ولم يقتصر دور جمعية العلماء على الانخراط فى الجبهة ، والعمل الداخلى فقط بل إنهم قاموا بالدعاية للثورة خارجياً من خلال أعضائها بالخارج ، واتخذوا من مصر قاعدة لعملهم ، فالشيخ المدنى ، والشيخ القسبرى ، وعبد الحميد المهري ، والبشير الإبراهيمى انطلقوا فى البلاد العربية ، يدعون للقضية ويجمعون السلاح ، ويمثلون الجزائر رسمياً من خلال توفيق المدنى كمندوب دائم للجزائر فى الجامعة العربية بالإضافة إلى عقد الندوات فى المنتديات والجامعات للتعريف بالقضية وكان هذا دور على جانب كبير من الأهمية حيث وفروا للثورة مظلة من الإعلام الخارجى فى الوقت الذى لعبوا فيه دوراً هاماً فى تعميق الوعي السياسى لدى جنود جبهة التحرير ، وكان أحمد حماني نائب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين يتولى هذا الأمر .

وإذا نظرنا إلى تأثير العلماء على الشعب أثناء الثورة فلنقلب صفحات كتاب مولود فرعون : « يوميات معركة الجزائر » : عندما تقرر الاضراب عن التدخين والخمور « فى ١٢ نوفمبر ١٩٥٥م نفذ الأهالى الإضراب فى نظام ودقة ، والفرنسيون غاضبون لأن أبناء القبائل كنوا عن الذهاب إلى المقاهى وتناول شرايبهم جهاداً . إن مجرى الأمور الطبيعى التقليدى ، يرون أن شيخ الإفلاس سوف ينتصر فأوامر الثوار أصبحت بمثابة الأحكام النافذة ، فأخليت رفوف الدكاكين من السجائر ، وأقلع المدخنون عن التدخين وكرهوه حتى فى منازلهم حيث لا رقيب ولا حسيب ، وهجرت المقاهى الفرنسية بالإجماع ، ولم يعد يشاهد فيها أو فى الشوارع سكير ، وأصبح محترفو الشراب يعللون أنفسهم بأن الله سيؤتيهم القوة على الاحتمال ، وهكذا فى الوقت الذى يطلب فيه هؤلاء الفلاحون القوة والعون من الله ، نجده سبحانه وتعالى يقذف الرعب فى قلوب الفرنسيين .

ويقول مولود فى مذكراته يوم ٢ فبراير « بل إخواننا ، مسلمون حقيقيون ، وحينما جمعونا فى المعصرة كانت أسنان الوجهاء تصطك خوفاً ، غير أن رئيس الجماعة الثورية كان يدعو إلى الإعجاب حقاً ، فبدأ بتلاوة آى الذكر الحكيم مبتدئاً بفاتحة الكتاب فى

(١) المصدر السابق ص ١٥٨ .

لغة عربية فصيحة سليمة ، وبنغم كأنه السحر وبإيمان لا يقبل الشك ، ولم نكن في حاجة إلى فهم معاني الآيات ، بل اكتفينا بالأثر المباشر والجو العجيب الذي انجذبنا إليه انجذابا .

« إن هذه الفئة المؤمنة تجبر الإنسان على احترامها ، ومنذ حضوا الناس على الإقلاع عن السعوط والدخان ولعب الميسر والخمر ، تلك الأمور التي ينهى عنها الإسلام ، وهم مسلمون ، أدر كنا أن هذا الدين الخفيف يعيد سيرته الأولى على أرض الجزائر الخضراء ، هل أنت مسلم ؟ إذن فازجر الشيطان واطرده من كل مكان ومن كل قلب ، وليبحث له عن مأوى في أى مكان آخر ، هل تذهب إلى المقهى ؟ اشرب فنجان قهوتك وتحدث مع الأصدقاء ثم اذهب بعد ذلك إلى بيتك ، لقد جعلك الله مسلماً فهل يصح أن تستمر في معصيته وتجاهله ؟ لا . لن يسمح لك بذلك أبداً ، أواه لقد سررنا من هذا الكلام الجاد المؤمن ، حتى التكات بدت لنا مبتذلة ، حتى أبناء « تيزى هيل » الذين كانوا أشد الناس فساداً في الأرض اهتموا سواء السبيل وعاد الإيمان إلى قلوبهم ، واختاروا مؤذناً يؤذن للصلاة ، وبدءوا يذهبون إلى المسجد جماعات بانتظام ، يالعظمة الله ! إنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ؟ وها هو سبحانه يؤلف بين القلوب في طرفة عين ويجمع المشتتين تحت سقف حظيرته المقدسة الذي أصبح يستظل بظله مضيعون عادوا من فرنسا من أجل الكفاح المقدس وليدفن شهدائهم في جبانته تيزى - هيل مسلمين موحدين مؤمنين بالله ورسله ، لقد قتل بعض هؤلاء العائدين بأيدي إخوتهم المؤمنين ، كذلك الذي أصر على التدخين والآخر الذي أصر على شرب الخمر ، ولما كان هذان الشهيدين ابني عمومة ويتميان لأسرة واحدة هي أسرتي « فإننا نشعر بالأسى لأنهما خالفا ما أقر به قادتنا المؤمنون الصادقون »^(١) .

وهذه المقتطفات من « يوميات معركة الجزائر » لمولود فرعون تشير إلى قوة الإسلاميين المعنوية وتأثير الإسلام في تغيير سلوك المنحرفين من الشعب الجزائري ، وهو ما يؤكد دوره الرئيسي في تحرير الجزائر وأهميته في حياة الجزائريين وتكوينهم النفسي والوجداني ، ومثال آخر يورده بسام العميلي في كتابه جيش التحرير الوطني الجزائري عن دور الإسلام في ضبط المجاهدين ، وكيف حاولت فرنسا استخدامه أيضاً ، فمنذ نشوب الثورة ،

(١) مولود فرعون : يوميات معركة الجزائر . ترجمة عبد العاطي جلال . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ ص ٩ ، ص ١٠ ، ص ٢٨ ، ص ٦٩ .

كان جميع الحكام العامين الفرنسيين في الجزائر ، تواقين دائماً ، إلى إظهار تأييد جزائري إسلامي إلى جانبهم ، وضمن هذا الإطار عمل الحاكم العام « سوستيل » على تنظيم جماعات مسلحة من مسلمي القبائل (البربر) تحت ستار (الدفاع عن النفس) لتصدى لمقاومة جيش التحرير (سنة ١٩٥٥) ، وكان بين الجزائريين الذين طلبت إليهم السلطات الفرنسية ، الانضمام إلى هذه الجماعات ، عدد غير قليل من مجاهدي جيش التحرير ، وانضموا إلى المشروع الجديد بعد الحصول على الموافقة من قائدهم . وكانت المشكلة الأولى التي صادفتهم عندما صدر الأمر لهذه الجماعات بعد تدريبها بالخروج إلى الجبال لقتال جيش التحرير الوطني ، وعقد قادة القبائل مؤتمراً سرّياً لمناقشة الموقف ، وقرروا تمثيل معارك صورية مع إخوانهم المجاهدين ، وأن يتركوا على أرض المعركة (جثث الخونة) الذين يتم إعدامهم عادة .

وطبق هذا النظام بصورة دقيقة عدة أشهر ، كان فيها السلاح والمدافع والذخيرة ، تسرب كلها من هذه المجموعات إلى المجاهدين في منطقة القبائل ، ومن السخرية حقاً - بالكفاءة الفرنسية - ألا يكشف القادة الاستعماريون سر هذه العملية ، إلا عندما أعلنها مباشرة القائد « عبانه » أبرز قادة منطقة القبائل ، ولكن قبل أن يسمح « عبانه » لنفسه بكشف السر ، وقبل أن يتمكن الفرنسيون من القيام بعملية انتقامية ضد هذه الجماعات ، كان أفرادها قد قتلوا ضباطهم الفرنسيين ، وعادوا إلى الالتحاق بقواعدهم لخوض الصراع مع إخوانهم المجاهدين ، وحملت هذه العملية اسم الطائر الأزرق^(١) وبذلك يتضح أنه رغم جهد فرنسا طوال ١٣٢ عاماً على خلق هوة بين مسلمي الجزائر (عربهم وبربرهم) كانت الوحدة الإسلامية تحت راية الجهاد في سبيل الله هي العامل الأقوى من كل محاولات التجزئة ، والفضل يرجع لجمعية العلماء في تحقيق هذه الوحدة .

الجيش يطور المبادئ الإسلامية

واستطاعت الثورة الجزائرية أن تتقدم نحو النصر ، بسبب ذلك التجارب العميقة بين الرأي الموجه من اليوم الأول للثورة ، وذلك الطابع القوي من الخلق الفاضل ، السلوك المثالي ، لقد تطهر الشعب الجزائري من أدرانته بعد سنوات الاحتلال الفرنسي الغاشم ، وبعدما أُنزله الاستعمار من محن ونوائب بهذا الشعب الذي عاد للظهور ، وهو يحمل كل

(١) بسام المسيل : جيش التحرير الوطني الجزائري . دار الفانسي . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص ١٠٧ .

فضائله الدينية والأخلاقية التي بقيت كامنة طوال أكثر من قرن من الزمن ، تنتظر الفرصة المناسبة وتتحين الظرف الملائم الذي أوجدته ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ ، فكانت هي الإيدان لتلك القيم بالظهور ، على طبيعتها ، فأدهشت العالم .

كان جيش التحرير الوطني هو التنظيم الذي مكن تلك القيم التي كانت كامنة بالظهور وهو الذي آلت إليه تلك القيم ، فأعطاهما النظام الملائم ، وفي مؤتمر ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ أعطى نظاماً موحداً لجيش التحرير وسن قوانين لا يتعداها المجاهد ، ويرجع عليها جميع القادة ، فصدر قرار تحريم الإعدام ذبحاً ، وتحريم جميع أنواع التمثيل بالشخص ، أو التشوية بخلقه ، كما نص على إعدام كل من يعتدى على عرض فتاة ، أو امرأة وذلك بعد محاكمة شرعية قانونية ، يتمكن فيها المتهم من الدفاع عن نفسه ، وأمر بالعناية بالأسرى ، وبذلك تكون الثورة قد أقامت الدليل على أنه تمثل القيم الأخلاقية للشعب الجزائري وهذا هو ما مكن جيش التحرير من إحراز انتصاراته بالرغم من قلة عدده^(١) وبالنظر إلى القانون الأساسي لجيش التحرير الوطني الجزائري الذي تقرر في ١٢ أبريل ١٩٥٨ نجد أنه مستنبط من المبادئ الإسلامية فهو ينص على أن من واجب المجاهد أن يحترم نفسه ، وأول ما يحترم به المجاهد نفسه هو النظافة البدنية . وعليه أن يححو من نفسه كل شعور أناني ، كما يجب أن يركز فيها بصورة عالية ورأسخة . صوت الضمير والإحساس بالواجب ، ويجب ألا يتساهل المجاهد مع نفسه ، بل عليه أن يحاسبها كل يوم في كل شيء على المجاهد أن يفرض كل اعتبار يؤدي إلى الانفعال ، أو التأثير نتيجة حب الذات ، بل عليه أن يكون طاهراً وصريحاً ومخلصاً ، ويطلب إلى كل مجاهد القيام بشعائره الدينية الإسلامية ، كما يطلب منه أن يحب رؤسائه ورفاقه وسلاحه . وعليه أن يكون مثالاً للسيرة الحميدة والشجاعة لجميع إخوانه .

وقرر القانون في فصله الثالث عقوبات قصاص على الأخطاء المرتكبة إلى ٣ درجات .

أولاً : الأخطاء البسيطة ، وهي الطبع الرديء ، عدم احترام الرفيق ، التسرع ، تأخير العمل ، أو إهماله ، القذارة ، التكاسل ، الخصام ، اللباس غير النظامي ، عدم الاعتناء

(١) المصدر السابق ص ١٢٤ ، ص ١٢٦ نقلا عن مجلة المجاهد ، العدد ٩ (٢٠ أوت - آب ١٩٥٧) .

بالمواد المحفوظة ، وعقوبة مرتكبي هذه الأخطاء الإنذار وتسخير المخطئ للقيام بأعمال متعبة ، وتعيينه للحراسة لوقت إضافي ، اللوم ، وقطع المرتب .

ثانيا : الأخطاء الخطيرة وحددها القانون في : محاولة الاغتيال ، العبث بحفظ النظام تصنيع السلاح ، إفساد الذخائر عمدًا ، الغش في المحاسبات ، اختلاس الأموال ، التزوير ، تضییع رسالة أو عدم تسليمها ، التأخير في تنفيذ الأوامر ، السرقة ، التعدي على السلم النظامي العسكري ، والتغيب عن الاجتماع ، السكر ، الحط العلني من جيش التحرير أو من القادة ، التجاوز في السلطة ، الامتناع عن أداء التحية التنقل بدون إذن ، وعقوبة هذه الأخطاء تكون في نزع السلاح أو نقل الجندي إلغاء الإجازات ، خفض الرتبة ، نزع الرتب كلها .

ثالثًا : الأخطاء الفاحشة فهي القتل المتعمد ، الفرار من صفوف الجيش ، التواطؤ مع العدو والخيانة ، تعمد كشف السر ، بث روح الهزيمة ، الانشقاق والتألب ، نشر الدعاية الطائفية ، شق عصا الطاعة ، الاعتداء على المحرمات ، اللواط ، الزنا ، تبذير الأموال ، إخفاء أرزاق الثورة ، التخلي عن المركز ، الجبن أمام العدو ، العمل على حط معنويات الجيش ، يقدم مرتكب هذه الأخطاء إلى المحاكم العسكرية للاقتصاص منه بعقوبات تبتدئ من السجن ونزع الرتبة العسكرية ، وخلع الجنسية الوطنية إلى حكم الإعدام : وتُنظر محكمة الولاية في جريمة الزنا والاعتداء على المحرمات مهما كانت رتبة المتهم^(١) ومن المبادئ العشرة لجيش التحرير الوطني مراعاة المبادئ الإسلامية والقوانين الدولية في تخطيط قوات العدو ، تقوية روح الأخوة والتضحية والعمل المشترك في نفوس المجاهدين .

وهذه المقتطفات من قانون جيش التحرير الجزائري نرى أنها راعت كل المبادئ الإسلامية مما يعني أن الإسلام كان هو المحرك الأول للثورة ، لذا كان الصعب تجاهله ، بل كان يجب ترجمته عملياً ، والدفاع عنه وحمل لواء القيم الأخلاقية والدينية .

وعلى الرغم مما تقدم فإن محاولات إبعاد الإسلاميين عن المراكز القيادية في الثورة الجزائرية ، قد بدأت منذ عام ١٩٥٤ بعد إعلانها مباشرة ويتضح ذلك من تدخل مصر في هذه العملية خصوصاً وأنها كانت قد خرجت لتوها من معركة مع الإخوان المسلمين ،

(١) المصدر السابق ص ٢١٦ - ص ٢٢٣ .

ويتضح ذلك من كتاب فتحى الديب . عبد الناصر والثورة الجزائرية حيث كان ضابط اتصال عبد الناصر بالثورة .

ويقول حول مساعيه لتوحيد الأحزاب الجزائرية فى جبهة واحدة : « إنه تم الاجتماع الأول فى بيته ، وحضره البشير الإبراهيمى - رئيس جمعية العلماء ، وأحمد بيومى ممثل حزب البيان ، ومحمد خيضى ، وأحمد ميزغنه ، وحسين الأحول ممثلو مجموعة اللجنة المركزية وتم تبادل الآراء وانتهى النقاش الذى اتخذ طابع الحدة لإصرار الشيخ الإبراهيمى على حضور الفضيل الورتلانى غير الموثوق به (يُعتقد أن السبب الذى لم يذكره الديب أن سبب عدم الثقة يرجع لعلاقتة القوية بالإخوان المسلمين أعداء الثورة المصرية) وتم الاجتماع الثانى يوم ٢٢ يناير بمنزل فتحى الديب مع البشير الإبراهيمى ٤ ساعات دون التوصل إلى نتيجة لإصرار الإبراهيمى على ممارسة حقه فى السيطرة على الطلبة الجزائريين (وهو ما لم يقبله الديب) تفادياً لممارسة الضغط المادى على الطلبة لاتخاذهم مواقف تضر بقضية الثورة الجزائرية ، وبالطبع فإن الديب لم يشأ أن يذكر حقيقة رفضه لسيطرة الإبراهيمى على الطلبة الذين كانوا فى الأصل تلاميذ مدارس جمعية العلماء التى ترسلهم فى بعثات للأزهر والزيتونة والقرويين ، كما أوضحنا سابقاً . والديب يريد أن يسلبه القوة التى تتمثل فى الطلبة مستقبل الأمة لإعادة تشكيلها وفقاً للرؤية المصرية وبالتالى دعماً لبن بيللا ، وتم الانتهاء من هذا الاجتماع بإعطاء مهلة عدة أيام ليقنع البشير معاونه بأهمية الجبهة .

فى مساء يوم ١٧/٢/١٩٥٥ تم الاجتماع الموسع بمنزل فتحى الديب وحضره الشيخ البشير الإبراهيمى رئيس جمعية العلماء ، والفضيل الورتلانى عضو الجمعية ، وأحمد ميزغنه ممثلاً لمصالى الحاج ، والشاذلى المكى عضو مجموعة مصالى ، وأحمد بيوض ممثلاً لفرحات عباس رئيس حزب البيان وحسين الأحول ممثلاً لمجموعة اللجنة المركزية المنشقة ، ومحمد يزيد عن نفس المجموعة وكل من أحمد بن بيللا ومحمد خضير ، وحسين آيات أحمد ممثلين لجيش التحرير الجزائرى .

وبعد نقاش طويل مثمر اتفق الجميع على توقيع ميثاق جبهة تحرير الجزائر وتم وضع اللائحة الداخلية لجبهة التحرير ، والتى تم إقرارها والتوقيع عليها مساء يوم ١٨٤/٢/١٩٥٥^(١) .

(١) فتحى الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر . دار المستقبل العربى . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٩٠ ص

وتم الاتفاق بين أحمد بن ييللا ، وقادة الكفاح بالداخل على خروج قادة حزب البيان وجمعية العلماء إلى القاهرة ، ليتم إعلانهما لحل تنظيمهما والانضمام لجهة التحرير الجزائرية في مظاهرة دعائية ، ولكن تكون جميع الأحزاب والهيئات الجزائرية قد انخرطت في جبهة التحرير باعتبارها الجبهة السياسية الوحيدة الممثلة للشعب الجزائري والناطق بلسان جيش التحرير الجزائري .

وبدأ توافد الإخوة الجزائريين ليصل في نهاية ١٩٥٦ فرحات عباس رئيس حزب البيان ، والدكتور أحمد فريس ، وأعقبهم وصول الشيخ أحمد توفيق المدني أمين عام جمعية العلماء والشيخ العباس عضو الجمعية ولحقهم المحامي عبد الرحمن كيوان عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب والمحامي ساطور وبو منجل من أعضاء حزب البيان والنواب بالمجلس الجزائري .

وفي ٢٥/٤/١٩٥٦ أعلن فرحات عباس ومعه رؤساء جمعية العلماء لجزائريين في مؤتمر صحفي بسميراميس الانضمام بعد حل تنظيماتهم إلى جبهة التحرير الجزائرية ومطالبتهم بضرورة الحصول على الاستقلال التام ، الأمر الذي كان له أثره البالغ على السلطات الفرنسية واعتبار ذلك نصراً عزيزاً للثورة الجزائرية وقيادة جيش التحرير^(١) .

وهكذا يتضح أن جمعية العلماء شاركت بفاعلية في تكوين جبهة التحرير ، وتنازلت من أجل الاستقلال عن هيكلها وقيادتها ، وانصهرت في الجبهة مما يؤكد نقاء سريرتها وحسن نيتها وعدم تغطرسها ، لتولى القيادة كما حدث من بعض الأحزاب والقوى السياسية .

وبدأ الصراع الداخلي منذ مؤتمر ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ الذي عقد بوادي الصمام واقتصر من حضروا هذا الاجتماع على قادة ولايات الجزائر ، والقبائل الصغرى والكبرى وممثلين عن شمال قسنطينة ، وتخلف عن الحضور باقي قادة أو ممثلين عن وهران والأوراس وسوق أهراس ، والصحراء ولم يحضر ممثل للخارج ، ونجح عبان رمضان في فرض رأيه على المؤتمرين ، وتجاهلت القرارات التي اتخذها المؤتمر حول مستقبل الجزائر عروبتها

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠ .

وارتباطها بالدين ، وشكل لجنة عليا للإشراف على شؤون الكفاح وسماها لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E) ووضع نفسه على رأسها رغم ثلاثية تشكيلها ومعه كريم بلقاسم ويوسف بن خده وتم تعيين محمد الأمين دباغين ليمثل الثورة الجزائرية بدلاً من أحمد ابن بيللا ثم توالى التصفيات الجسدية داخل الثورة ، ونجمت فرنسا فى الاستيلاء على شحنة أسلحة من مصر مرسلة للجزائر على ظهر الباخرة آنوسى يوم ١٢ أكتوبر ١٩٥٦ بالإضافة إلى حادث اختطاف طائرة أحمد بن بيللا ، ومحمد خيضر ، ومحمد بوضياف ، وحسين آيات بعد أربعة أيام فقط من الاستيلاء على الباخرة . وطالب فتحى الديب أحمد توفيق المدنى (علماء) بإعداد بيان ونداء باسم جبهة التحرير الوطنى الجزائرى وجيش التحرير ، لتقوم إذاعة صوت العرب بإذاعته لشحن همم وعزائم الشعب الجزائرى ، وتفادى ردود الفعل السلبية للحادث ، كما أبلغ توفيق المدنى مجلس الجامعة العربية بالحادث ، وبأنه لا يؤثر على سير الكفاح ، ومطالبة الحكومات العربية بإعلان تضامنها فى تأييد الكفاح الجزائرى ، واتخاذ قرار بتحميل فرنسا مسؤولية وقوع أى أذى على المقبوض عليهم^(١) .

وهنا يتضح أن الصراع على السطلة لم يخل من الموقف تجاه الإسلام فعين رمضان أراد الانحراف بالثورة ، كما رأينا ولم يهتم بعروبة الجزائر أو إسلامها وحاول استغلال اختطاف طائرة بن بيللا ورفاقه ليسيطر على مسيرة الثورة ، فعين عمر عمران ممثلاً للجنة التنسيق والتنفيذ بالخارج ليحل محل بن بيللا وليتولى مسؤولياته فى القاهرة وعين ممثلين آخرين .

وإذا قارنا موقف أحمد توفيق المدنى الذى التزم بعهد الثورة ، سنجد اليون شاسعاً بين موقفه وموقف الآخرين ، وهو ما يحسب لجمعية العلماء ، وفى محاولة لاستعادة الثورة ثم اجتماع يوم ١٥ ديسمبر ١٩٥٦ لقادة جيش التحرير لمناطق سوق أهراس (عمر بوقلات) سدراته (عيد الله بو الهوشات) الأوراس (مسعود بن عيسى وعمر بو العيد) خنشلة (الباهى شوشان) تبسه (الأزهر الشريطلى) ، ومعهم أركان حرب تلك المناطق واستعرضوا قرارات مؤتمر وادى الصمام المنعقد فى ١٩٥٦/٨/٢٠ ، واستقر رأيهم على عدم الاعتراف بتلك القرارات التى تخالف

(١) المصدر السابق ص ٢٣٤ ، ص ٢٤٤ ، ص ٢٤٧ ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٨ ، ص ٢٦٨ ، ص ٢٧٠ .

الاتجاه الأول للثورة ، بالإضافة إلى إعطائها السطة للسياسيين على العسكريين مما يتنافى وروح الثورة ، إلى جانب عدم النص بأن الجزائر دولة إسلامية عربية ، تطهير المنطقة بتونس . وذلك بإبعاد إبراهيم مزهودى وعمار بن عودة من تونس فوراً ، تعهد منطقتنا سوق أهراس وسدراته بتوصيل سلاح منطقة شمال قسنطينة والمناطق الغربية إلى حدودها ، تجديد الثقة بالمناضل على محساس للقيام بجميع أعمال الجيش العسكرية والسياسية فى الخارج ، وتمثيل جيش التحرير تمثيلاً كاملاً ، وتم توقيع هذه القرارات وإيصالها إلى القيادة المصرية لقطع الطريق على محاولات لجنة التنسيق والتنفيذ التى تهدف للإطاحة بكافة العناصر المؤيدة لبن بيللا^(١) .

وعموماً فقد حسمت المعركة بين الطرفين لصالح الجزائر المسلمة ، والعربية ، وقامت مجموعة عبان رمضان بتصفية بعضها جسدياً وقام كريم بلقاسم باغتيال عبان رمضان نفسه .

وبسبب لمشاكل السياسة الداخلية والخارجية تقرر الاتفاق على إعلان تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة يوم ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ ، وقد وافق مجلس الثورة بالاجماع على تشكيلها برئاسة فرحات عباس وتم تعيين توفيق المدني عضو جمعية العلماء . وزيراً للتربية والتعليم ، وإن كانت قطاعات الشعب فى الداخل والخارج قد أعلنت مسخطها على الحكومة ، وحدث عصيان وفوضى فى الجبهة الشرقية لإبعاد بعض القادة ، ومحاولة القيام بانقلاب عسكرى يهدف لقمع بعض الوزراء العسكريين من أعضاء الحكومة الجزائرية : وهم كريم بلقاسم ، ومحمود الشريف ، وعبد الله بن طوبال ، وعبد الحفيظ بوصوف وإدخالهم الجزائر لحاكمتهم عسكرياً ، بمعركة جيش التحرير لارتكابهم جنایات الاغراف عن مبادئ الثورة ، وإبعادهم القادة الوطنيين الذين ساهموا فى الثورة ، وإحلال عناصر مشبوهة وغير ذلك من التهم كالديكتاتورية والخضوع لبورقية ، واتجاههم للتفاوض مع فرنسا ، واتخاذهم لقرارات خطيرة تمس مستقبل الجزائر دون الرجوع لأعضاء المؤتمر الوطنى للثورة الجزائرية ، وفرضهم لشخصيات مكروهة من الشعب وجيش التحرير فى المراكز الحساسة دون مراعاة لشعور القادة والجيش والشعب داخل الجزائر وهم : فرحات عباس ومحمدى السعيد ، والقومندان أدير ، ومحمود الشريف وذلك بالرغم

(١) المصدر السابق ص ٢٩١ .

مما هو معروف عن هؤلاء من خيانتهم للثورة ، ولكن اكتشاف محمود الشريف للانقلاب أدى إلى طلبه من بورقية أن يضع تحت تصرف كريم بلقاسم القوة البوليسية اللازمة للقبض على مدبري الانقلاب ، وتمكن من القبض على ٢٨ منهم وهرب ثلاثة فأعلن المجاهدون العصيان المسلح إلى أن يتم الإفراج عن القادة المقبوض عليهم ، كما تأزمت العلاقة بين مصر والحكومة الجزائرية عام ١٩٥٩^(١) .

وعقد المؤتمر القومي للثورة الجزائرية في أوائل شهر يناير ١٩٦٠ بطرابلس ، وحدثت الصراعات المعتادة بين تكتلات الثورة ، وخلال دورة اجتماع المجلس ظهرت أربع كتل إحداها لكريم بلقاسم وتضم ١٣ عضوا ، والثانية لفرحات عباس وتضم بعد انضمام مجموعة العلماء إليه ٥ أعضاء ، و كتلة اللجنة المركزية وتضم ٨ أعضاء ، أما الكتلة الأقوى فكانت لبوصوف ، وبن طوبال وضمت ١٧ عضوا ، ولعبت كتلة فرحات رغم ضعفها الدور الرئيسى فى احتفاظه برئاسة الحكومة بعد انضمامه لكتلة بوصوف ، ضد كريم بلقاسم واستغلاله لنظرة فرنسا إليه كعنصر يمكن التفاهم معه فى إقناع أعضاء المجلس القوى لإبقائه على رأس الحكومة التى خرج منها المدني الذى بقي ممثلا للحكومة بالقاهرة^(٢) .

وبسبب تدهور الأحوال الاقتصادية اضطر ديجول إلى الرضوخ لمطالب الثورة وقبول التفاوض مع الحكومة الجزائرية بمدينة إفيان فى أواخر مايو ١٩٦١ وتم توقيع اتفاق الاستقلال يوم ١٩٦٢/٢/٢٨ ، وتم الإفراج عن بن ييلا ورفاقه ، وتم تهريب القادة الجزائريين من الرباط إلى القاهرة ، وتحلف عن الحضور بوضياف الذى رأى أن القاهرة تفضل بن ييلا عليه ، وكان عيد الاستقلال الجزائرى فى أول نوفمبر ١٩٦٢ .

ويلاحظ هنا أن الخط الإسلامى بدأ يضعف فى صفوف القيادة لأسباب متعددة منها أن الإسلاميين كانوا منخرطين فى صفوف الجهاد فى الداخل ، كما أن الظروف الدولية والإقليمية لم تدعم قوتهم داخل القيادة الجزائرية حيث كانت كل من مصر ، وليبيا ، وتونس ، والمغرب ، وحتى فرنسا تدعم مجموعات داخل قيادة الثورة ، وبالتالي لم يرد التيار الإسلامى إثارة المشاكل الجانبية لأن هدفه المركزى كان تحرير

(١) المصدر السابق ص ٤٠٥ ، ص ٤٠٦ ، ص ٤٠٨ ، ص ٤١٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٦١ ، ص ٤٦٢ ، ص ٤٦٦ ، ص ٤٧٣ .

الجزائر لا الوصول إلى السلطة لأنه يعتقد أن السلطة الحقيقية هي التأثير الروحي على الجماهير وهو بتلك النظرة يكون له السلطة على الجماهير التي ظل يشكل وجدانها منذ عام ١٩٣١ ، ويمكن القول : إن الضربة الرئيسية التي سددت للتوجه الإسلامي في الثورة حدثت في الاجتماع الثالث للمجلس الوطني للثورة الجزائرية عام ١٩٦١ حيث صاغ برنامج طرابلس محمد حربى ، وهو ماركسى ، ومصطفى الأشرف وهو أستاذ سابق في جامعة السربون ، ومحمد يزيد ، وهو مركزى سابق وأكد البرنامج بأنه ينبغي تخليص الفلسفة الجديدة من « النزعة الذاتية » و « النزعة الأخلاقية » ، التي هي اتجاه مثالى وطفولى ، يريد أن يغير المجتمع وأن يحل مشكلاته بمساعدة القيم الأخلاقية وحدها ، بالإضافة إلى هذا لابد من وضع « ثقافة وطنية ثورية وعلمية » ويشكل التركيز على الجانب العلمى للثقافة هجوماً مباشراً على النزعة الأخلاقية البورجوازية الصغيرة ، أى عادة استخدام الإسلام لأغراض ديماجوجية من أجل تخشى المشكلات الحقيقية ، إن الإسلام بالنسبة إلينا المتحرر من كل البدع والخرفات التي قيده أو لطلخته ، ينبغي أن يظهر ليس فقط فى الدين كدين فحسب ، بل أيضاً فى هذين المجالين الحيويين : الثقافة والشخصية ، والواقع أنه بعيد عن بقايا الإقطاع الإدارى « فإن أولئك المنخرطين فى « الكهنوتية » مدانون بوصفهم « أذنابا » للاستعمارين^(١) وهنا تتضح ملامح مؤامرة إخراج الإسلاميين من القيادة والاكفاء به فى المجال التعبدى والثقافى فقط ، بالإضافة إلى بدء عملية تشهير بالقيادات الإسلامية ، وترك الأمر مفتوحاً ، فلا أحد يعرف هل يقصد البرنامج رجال الطرق الصوفية أو جمعية العلماء التي تم مصادرة جهودها فى هذا البرنامج ولكنه فى جميع الأحوال كان بداية النهاية لتيار الإسلاميين السياسى وإنذاراً له كى يتراجع وهذا ماسنراه فى الفصل المقبل .

فالثورة عندما قامت طالبت فى ندائها الأول بإعادة الدولة الجزائرية التي سبق أن احتلها الفرنسيون إلى إطار المبادئ الإسلامية باعتبار الجزائر مسلمة وتوحيد أقطار الشمال الأفريقى داخل الإطار العربى الإسلامى ، إلا أنها عندما اقتربت من تحقيق الانتصار بدأت ترى أن الإسلام هو اتجاه مثالى وطفولى ويجب ألا يزيد على جوانبه

(١) مغنية الأزرقي . مصدر سبق ذكره ص ١٤١ .

التعبدية والثقافة ، وبالطبع فهذا الكلام كان لا يعبر عن الفرد الجزائري المسلم الذى حارب بعقيدة الجائزة العربية المسلمة ، والتى أدت إلى الانتصار على دولة قوية مثل فرنسا ولكنه كلام النخبة التى تلوك الكلام ، ولم تشارك فى القتال ، ولكنها هى التى صادرت الانتصار الإسلامى العربى لصالحها ففى كل الثورات يضحى أصحاب المبادئ بأنفسهم ويقتل الانتهازيون يجنون ثمار شجرة الاستشهاد ، بعدما تكون القيادات الأصلية قد استشهدت ، وبقي الشعب وحيداً متعباً من مسيرة الجهاد غير عابئ بمن يحكم مادام قد تحقق الاستقلال .

وهذا هو أكبر أخطاء وخطايا الثورة الجزائرية بعد الاستقلال ، فتجاهل المرتكزات الأساسية للشعب الجزائرى وفهم شخصيته كان السبب الرئيسى للانحيار السياسى والاقتصادى الذى حدث بعد ٣٠ عاماً من الاستقلال ، برغم الازدهار الكاذب الذى حققه البترول ، والذى كان يخفى فى الحقيقة تفاعلات الغضب الشعبى ويعيد صياغة الاتجاه الإسلامى فى صورة جديدة تراعى الاستفادة من كل التجارب السابقة وأخطاء النظام ، وتوظف البنية الوجدانية والإسلامية التى أسسها عبد القادر الجزائرى وابن باديس والبشير الإبراهيمى وغيرهم من العلماء للإطاحة بالنظام القائم الذى حاول أن يتجمل بالإسلام ، بعد أن ظهرت على وجهه الشاب تجاعيد الفشل لاستغلال وعدم المصادقية ، وهو الأمر الذى رفضه الشعب الذى يعرف حقيقة وجهه جبهة التحرير التى تاجرت بأحلام وأهداف وتاريخ الشعب ، ووظفت شخصيته الدينية من أجل الوصول إلى السلطة ، وعندما حققت غايتها داست هذه الشخصية وتجاهلت مقوماتها ، وفرضت نظريات معلبة ثم استيرادها من هنا وهناك ، بما لا يتلائم مع الشخصية الجزائرية ، والتى لها مقومات خاصة حتى إن إسلامها جزأته على يد الشيخ ابن باديس ، وأصبحت القومية جزءاً من الدين لديها ، فالدين والقومية والوطن الجزائرى كتلة واحدة لا يمكن فصلها ، ولذلك فشلت كل تجارب حكومات جبهة التحرير التى لم تراعى خصوصية الشعب الجزائرى ، الذى أطاح بها فى أول انتخابات تشريعية عام ١٩٩٢ ، وأعطى أصواته لجبهة الإنقاذ الإسلامية وهو الأمر الذى لم يفهمه بعد الساسة والمحللون ، حيث مازالوا يمارسون نفس الأخطاء فى التحليل والفهم ، ويررون انتصار الإنقاذ بمبررات غير صحيحة البتة ، وهو الأمر الذى يعنى تفاقم الإشكالية السياسية فى الجزائر ، وانحيار هذه الجمهورية الشابة تحت معاول عدم الفهم فى التعامل مع الحدث الجزائرى .